

أضواء البيان

@ 182 . قوله تعالى : { وَإِذْ آتَيْنَاهُمُ الْإِنْسَانَ أَطْرَافَ وَعَرْصَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا } . بين جل وعلا في هذه الآية الكريمة : أنه إذا أنعم على الإنسان بالصحة والعافية والرزق أعرض عن ذكر الله وطاعته ، ونأى بجانبه : أي تباعد عن طاعة ربه . فلم يمثل أمره ، ولم يجتنب نهيه . . وقال الزمخشري : أعرض عن ذكر الله كأنه مستغن عنه ، مستبد بنفسه . { وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ } تأكيد للإعراض . لأن الإعراض عن الشيء أن يوليهِ عرض وجهه . والنأى بالجانب : أن يلوي عنه عطفه ، ويوليهِ طهره ، وأراد الاستكبار ، لأن ذلك من عادة المستكبرين . واليؤوس : شديد اليأس ، أي القنوط من رحمة الله . .

وقد أوضح جل وعلا هذا المعنى في مواضع كثيرة من كتابه ، كقوله (في سورة هود) { وَلَئِنَّ أَذْقُنَا الْإِنْسَانَ مِرَّةً رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ وَلَئِنَّ أَذْقُنَاهُ نَعْمَةً بَعْدَ ضَرِّ آءٍ مَسَّتَهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ } ، وقوله في (آخر فصلت) : { لََّا يَسْأَلُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ وَلَئِنَّ أَذْقُنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ بَعْدِ ضَرِّ آءٍ مَسَّتَهُ لَيَقُولَنَّ هَآذَا لِي وَمَآ أَطُنُّ السَّاعَةِ قَائِمَةٌ وَلَئِنَّ رَجْعَتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْأَحْسَنَىٰ فَلَئِنَّ يَلِيَّ السَّاعَةِ لَكَفَّارٌ وَإِذْ آتَيْنَاهُمُ الْإِنْسَانَ أَطْرَافَ وَعَرْصَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُودُ دُعَاءِ عَرِيضٍ } ، وقوله : (في سورة الروم) { وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذْ أَذَاقَهُمْ مِّنْهُ رَحْمَةً إِذْ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ } ، وقوله فيها أيضاً : { وَإِذْ آتَيْنَاهُمُ الْإِنْسَانَ رَحْمَةً فَفَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذْ هُمْ يَقْنَطُونَ } ، وقوله (في سورة يونس) : { وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَاهُ عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ - كَأَن لَّمْ يَدْءُنْآ إِلَىٰ ضُرِّهِ مَسَّهُ } ، وقوله (في سورة الزمر) : { وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذْ خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ }

وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّیُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ { ، وقوله فيها أيضاً : {
 فَلِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا نَزًّا ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنَّا
 قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِن أَنَا أَكْثَرُ هُمْ لَا
 يَعْلَمُونَ } . إلى غير ذلك من الآيات . .

وقد استثنى □ من هذه الصفات عباده المؤمنين في قوله (في سورة هود) : { إِلَّا
 الَّذِينَ صَدَرُوا° وَعَمِلُوا° الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ°
 وَأَجْرٌ كَبِيرٌ } كما تقدم